الرسالة

(رو ٦: ١٨-٢٣)

يا إخوةُ بعد أن أُعتِقتُم من الخطيئةِ أصبحتُم عبيداً للبرّ* أقولُ كلاماً بشريًّا من أجل ضَعفِ أجسادِكم. فإنَّكم كما جعلتُم أعضاءَكم عبيداً للنجاسةِ والإثم للإثمِ كذلك الآن اجعَلوا أعضاءَكم عبيداً للبِّر للقداسة* لأنَّكم حينَ كنتم عبيداً للخطيئةِ كنتم أحراراً من البرِّ* فأيُّ ثمرٍ حصلَ لكم من الأمورِ التي تستَحيُونَ منها الآن. فإنَّما عاقِبتُها الموت* وأمَّا الآنَ فإذ قد أُعتِقتُم من الخطيئةِ واستُعبِدتُم لله فإنَّ لكم ثمرَكم للقداسة. والعاقِبةُ هي الحياةُ الأبدية* لأنَّ أجرةَ الخطيئةِ موتٌ وموهِبةَ الله حياةٌ أبديَّةٌ في المسيحِ يسوع ربّنا.

موت القديسين
حياة أبدية

يعرّف آباء الكنيسة الحياة الأبديّة على أنّها الشركة المباشرة مع الله ومعرفة الثالوث القدّوس. إنّ نعمة الروح القدس هي هذه الحياة غير الفاسدة وغير المخلوقة التي ظهرت بالمسيح للبشر والتي رفعتهم إلى ملء الشركة في الروح القدس.

يتّحد القدّيسون بالله ويحيون في نوره غير المخلوق الذي لا يفارقهم حتى في ساعة موتهم، بل يستقبل أنفسهم ويصير لها، من بعد الموت، «موضعًا للسكنى».

إن مسكن أنفس القديسين في النور، من بعد الموت، ليس إلّا استكمالًا لمسار التوبة التي تبدأ خلال حياتهم على الأرض. فإنّ نفوس الصدّيقين الراقدين تقيم في النور مباشرة بعد مغادرتها الجسد، وليس بعد القيامة العامّة والدينونة الأخيرة، لأنّها تذوّقت مسبقًا النور الإلهي وأدركته وبلغت معرفته في زمان حياتها واتحدت به.

يعتبر آباؤنا القديسون الحالةَ التي تلي الموت الجسدي مجرّد مرحلةٍ انتقالية وممرًّا يؤدّي إلى اكتمال أكثر نجازًا. لذا تركّز صلوات الكنيسة للراقدين على التضرّع للمسيح حتّى يُسكن أنفسهم «في موضعٍ نيّر». هذا الموضع ما هو إلاّ النور الذي يفوق كلّ الكائنات المخلوقة. هو، بحسب تعبير القديس غريغوريوس بالاماس «ضياء الله ... الذي لا يغرب ولا نهاية له، الجمال النوراني لكلمة الله، وبهاء مجده، ولاهوته...».

النور والمجد هذان هما مسكن القديسين الذين يقتنون بحياتهم وبموتهم «الحياة الإلهيّة». يشرح آباء الكنيسة أنّ موت القدّيسين يصير عربونًا للحياة. فكما أنّ موت الروح بالخطيئة والانفصال عن الله هو الموت الحقيقي، هكذا هي حياة الروح «الحياة الإلهيّة». لذا، مَن يُقيم في داخله المسيحُ الحياة لا مكان لديه للخوف من الموت.

هكذا يُشكّل موت القدّيسين مجدَهم وتمجيدَهم. هؤلاء يمجّدون اللهَ في الحياة والموت وما بعد الموت. وما الإكرام، الذي تحيطهم به الكنيسة، سوى ظلٌّ للمجدِ المستقبلي الذي لا يُنطق به وعربونٌ

العدد ٢٠١٤/٢٧

الأحد ٦ تموز

تذكار أبينا البار سيسوي الكبير

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الرابع

له. لقد اقتُبلت أرواحُ الصدّيقين في الإقامة الدائمة في النور، ويُنتظر أن يُستعلَن المجدُ السماويّ، في المستقبل، عبر أجسادهم المقامة، حتى يتمكّنوا من نيل المجد الدائم والنعَم ووعود الرب، في الجسد والنفس.

في قيامة الأموات العامة، عندما تعود النفوس فتتّحد بالأجساد، يقوم من الموت جسد القديس ذاته، ولكن في شكل متغيّر ومتجلٍّ. أمّا شكل الجسد البشري المُقام، ومقدار مشاركته في النعمة الإلهيّة، فيعتمدان على حياة الإنسان على الأرض وعلى درجة التوبة التي بلغها.

في تفسير الآية في الرسالة إلى أهل كورنثوس: «ونحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجهٍ مكشوف كما في مرآة نتغيّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح» (٢ كورنثوس ٣: ١٨)، يوضحون أنّ النور والمجد الإلهيّين اللذين يشارك بهما القدّيسون في الدهر الحاضر سوف يظهران في أجسادهم عند قيامة الصدّيقين.

لكنّ الآباء يميّزون بين مرحلتين اثنتين من الاستنارة والمشاركة في المجد. في الحياة الحاضرة، تُغني معرفةُ المجد والنور الإلهيَين نفوس الصدّيقين في جهادهم الروحي؛ أمّا في القيامة العامة، فتغطّي، على الدوام، أجسادهم العارية وتُسربِل كلّ كيانهم. ويكون الضياء والاستنارة الدائمان اللذان سيشعّان من أجساد القدّيسين شهادةً على اتّحادهم بالمسيح، بخلاف أجساد البشر غير التائبين الذين يقومون هم أيضًا إنّما محرومين من المجد السماوي.

الله سوف يودع حياته في متناول البشر لكيما يشترك فيها الأنقياء. وهذا الاشتراك في الحياة الإلهية المثلّثة الضياء هو الحياة الأبدية. فإنّ خصائص الطبيعة الإلهيّة تنتقل إلى الإنسان من بعد القيامة: أي المجد الإلهي وعدم الفساد.

لقد أعطيت هذه الخصائص الإلهيّة الأبديّة للإنسان قبل سقوطه، ويُنتظر أن تُعتلن في جسده البشريّ المُقام والممجَّد بنعمة الله في اليوم الأخير (١ كورنثوس ٢: ٩).

هذه الصفات ستُعلِن الهويّةَ الروحيّة لأبناء الله وبناته، في النور المزمع أن يُغلِّف كلّ المخلوقات، حيث القدّيسون يكونون على الدوام «على مثال الله»، عارفين إيّاه ومعاينين وجهه «كما هو» (١ يوحنا ٣: ٢).

الزمن والعبادة المسيحية

يعيش المسيحيون في وقت يقيسونه بتواريخ ورزنامة قدّسهما كلمة الله المتجسد. التوالي الإيقاعي للسنين والأشهر والأسابيع، وتناوب النهار والليل، لها بُعد يتجاوز العبور البسيط للوقت (ليست هذه الأمور مجرد وقت نَعبره). هذه اللحظات والأوقات تشكل اللحظات المهمة التي تجسد فيها كلمة الله إذ وُلد بيننا، ومات وقام وصعد إلى السماء. هذه الأحداث التي تأسس عليها خلاصنا حدثت مرة واحدة في التاريخ ولن تتكرر. لكننا، في إيقاع الوقت والزمن وانسيابه، نختبر هذه الأحداث ونحياها ونحتفل بها ونتذكرها وكأنها جديدة، حاصلة الآن. في كل حدث

الإنجيل

(متى ٨: ٥–١٣)

في ذلك الزمان دخل يسوع كَفْرَناحومَ فدنا إليه قائدُ مئةٍ وطلب إليه قائلاً يا ربُّ إنَّ فتايَ مُلقًى في البيت مُخلَّعاً يُعَذَّبُ بعذابٍ شديد* فقال له يسوع أنا آتي وأشفيهِ. فأجاب قائدُ المئةِ قائلًا يا ربُّ لستُ مستحِقًّا أن تدخُلَ تحت سقفي ولكن قُلْ كلمةً لا غيرُ فيبرأ فتايَ* فإنّي أنا إنسانٌ تحت سلطانٍ ولي جندٌ تحت يدي أقولُ لهذا اذهبْ فيذهَبُ وللآخرِ ائتِ فيأتي ولعَبدي إعمَلْ فيعملُ* فلمَّا سمع يسوع تعجَّب وقال للذينَ يتبعونه الحقَّ أقول لكم إنّي لم أجِد إيماناً بمقدارِ هذا ولا في إسرائيل* أقول لكم إنَّ كثيرين سيأتون من المشارقِ والمغاربِ ويتَّكِئون مع إبرهيمَ وإسحقَ ويعقوبَ في ملكوتِ السموات* وأمَّا بنو الملكوتِ فيُلقَون في الظلمةِ البَرانيَّةِ. هناك يكونُ البكاءُ وصريفُ

الأسنان* ثمَّ قال يسوع لقائد المئة اذهَبْ وليكُنْ لك كما آمنتَ. فشُفيَ فتاهُ في تلك الساعة.

تأمل

الشر لا يأتي من الخير، والرذيلة لا تأتي من الفضيلة. إذا قرأنا قصة الخليقة وجدنا أن كل شيء وجد حسناً (تك ١: ٣١) الشر لم يخلق في الوقت الذي وجد فيه الخير. الخليقة العقلية ذاتها (الملائكة) عندما أوجدها الخالق، كانت غير ممزوجة بالشر. فإذا كان الشر غير موجود طبيعياً في الأجساد، فكيف يمكن أن يكون الشر طبيعياً في الخليقة العقلية التي تختلف كلياً عن الجسدية، بنقاوتها وقداستها؟ كيف يمكن أن يكون الخير في شركة وجود مع الشر؟ ومع ذلك فإن الشر موجود، وفعله يظهر في أنه منتشر في العالم كله. من أين أخذ وجوده إذا كان غير مخلوق وله بداية؟

فليسأل أولئك الذين يناقشون مثل هذه الأمور أنفسهم من أين جاء المرض؟ المرض غير مولود من البداية وهو غير مخلوق فيما بعد من الله. الأحياء خلقوا حسب الطبيعة كما يليق بجبلتهم ليتورجي (أو خدمة ليتورجية) نحن نلاقي المسيح، الذي مات ثم قام، الذي «هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد» (عبر ١٣: ٨).

في كل خدمة ليتورجية يُصيّر الرب حقيقياً كلًا من عمله الخلاصي الذي قام به، وكمال هذا العمل وتحقيقه (في الملكوت). أي إننا في الليتورجيا نحيا العمل الخلاصي الذي حدث في الماضي، ونحيا أيضاً كماله في الملكوت، نجلب الماضي والمستقبل إلى الحاضر. في وسط انسياب الوقت، تدخلنا العبادة إلى نهاية الأزمنة (متى ١٨: ٢٠) إلى الملكوت حيث المسيح «الجالس في الأعالي على العرش مع الآب والحاضر معنا هنا بحال غير منظور» (من صلوات القداس الإلهي بعد أبانا...)، حيث المسيح الذي سوف يأتي ثانية ليدين الأحياء والأموات، ولم يتركنا أبداً وهو معنا «كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (متى ٢٨: ٢٠).

العبادة عموماً والأسرار خصوصاً تدخلنا إلى الدهر الآتي والملكوت. فيها يتجلى لنا المسيح القائم. نشترك في أعمال حياته الخلاصية لكي تتجدد حياتنا باستمرار ونولد من جديد (نستعيد الصورة) على مثال الذي جبلنا قديماً.

في الخِدَم الليتورجية، تصبح الأيام والأسابيع والأشهر أزمنة نعبر فيها إلى أزمنة الملكوت لكي نحيا مع الله والله يحيا فينا. لقد صار للزمن، للوقت : النهار والليل، الربيع والصيف، الخريف والشتاء، معنىً جديد وفرادة جديدة. لقد صار لكل يوم إمكانية أن يكون يوم نعمة، وكل سنة أن تكون سنة الرب المباركة. بهذا نعني أنّه من الممكن أن يكون كل يوم وكل سنة اللحظة الملائمة لتذكر الله وكل ما قام به وما زال يقوم به لأجلنا، وللتوقع بفرح الخيرات التي هيأها لنا نحن الذين نحبه (٢ كور ٢: ٩). الدورة الليتورجية، التي تتحرك على أربعة مستويات: اليوم، الأسبوع، الشهر، السنة ـ تدمجنا في سر المسيح، لكي تحوّل الزمن الذي نحيا ونعمل فيه إلى زمن ملائم لخلاصنا. يصير كل يوم صورة لكل وجودنا. الطرق التي ننظم بها أيامنا ونقضيها، والأولويات التي نضعها في هذه الأيام، هي العلامات التي تخبر عن نوعية حياتنا الشخصية. بالنسبة للمسيحي، كل يوم يمكن ويجب أن يكون مشاركة وجودية مع الأزلية، مع المسيح.

من بين المظاهر الطبيعية الأكثر أهمية ومركزية في الحياة البشرية هي غروب الشمس وشروقها. بالنسبة للمسيحي، ظهور النور واختفاؤه هما أكثر من مجرّد أحداث طبيعية. لأن قوة الله وخلاصه اختُبرا دائماً كنور . «الشعب الجالس في ظلمة أبصر نوراً عظيماً، والجالسون في كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور» (متى ٤: ١٦). الغروب والشروق هما الوقتان الأنسب للصلاة، لتذكر الرب يسوع المسيح نور العالم الذي يمحو ظلمة الخطيئة والفساد والموت. كل مساء وكل صباح يضيء المؤمنون، خلال الصلاة، القناديل التي ترمز إلى المسيح النور، ويسبّحون بفرح وشكر ظهور الله في يسوع المسيح (الله الرب ظهر لنا)، الذي هو النور الإلهي المشع.

مركزية الزمن المقدس في المسيحية تعكسها العبادة المسيحية. هذه العبادة، كما باقي الأمور في حياتنا، مبنية على توالي ايقاع الأيام والأسابيع والسنوات في دورة حياة طويلة. العبادة

المسيحية تستعمل الزمن في هيكليتها. فالزمن الذي نحيا فيه نستعمله لنعيش أعمال الله الخلاصية الماضية والمستقبلة. استعمال الزمن والوقت يسمح للمسيحيين بأن يتذكروا ويحيوا الأحداث التي تأسس عليها خلاصهم. كيفية استغلال الزمن الذي نعيشه واستعماله هي تحدد ماهية أولوياتنا. العبادة المسيحية تأتي ضمن هذا الإطار، لذا وضعت الكنيسة المقدسة الخدم الليتورجية اليومية والأسبوعية والسنوية التي تهدف إلى أن نحيا ضمن إيقاع الزمن الخلاص الذي قام به ربنا لأجلنا كي نتقدس.

لقد ورثت الكنيسة من العهد القديم والممارسات العبادية فيه مفهوماً خاصاً لقياس الوقت. ففي العهد القديم كان اليوم يمتّد من الغروب إلى الغروب: «وكان مساءٌ وكان صباحٌ يوماً واحداً» (تكوين ١: ٥). تالياً فإن المساء يشكّل بداية اليوم، واليوم الليتورجي يبدأ بصلاة الغروب. ومع شرح صلاة الغروب سوف نبدأ في العدد المقبل، بنعمة الله، بسلسلة نشرح فيها أهم معاني صلواتنا الطقسية اليومية: الغروب، النوم، نصف الليل، السَحَر والساعات.

(يتبع)

القديس سيسوي

+ قالوا عن الأب سيسوي الذي نعيّد له اليوم في ٦ تموز إنه لمّا أوشك أن يغادر العالم، صار وجهه كالشمس بينما كان الآباء حوله، وقال لهم: ها قد جاء الأب أنطونيوس. وبعد قليل، تمتم قائلاً: ها قد جاء رهط الأنبياء. ثم تألّق وجهه أكثر، فقال: ها قد وصل مصاف الرسل الأطهار. ثم ازداد وجهه تألّقاً وبدا وكأنه يكلّم أحداً، فسأله الشيوخ: ومن هو المتحدث إليك يا أبانا؟ قال: ها إني أرى الملائكة تقترب لتحملني، لكني استعطفهم أن يمهلوني قليلاً حتى أتوب. فقال له الشيوخ: لا حاجة لك إلى التوبة يا أبانا. أجابهم: في الحقيقة لا أظن أني قد بدأت. فأيقن الجميع أنه في قامة رفيعة جداً من القداسة والكمال. وفجأة أضاء وجهه كالشمس، فخاف الحاضرون، أمّا هو فقال لهم: انظروا ها الرب قد جاء وهو يقول: «أحضروا إليّ إناء البرية». وللحال أسلم الروح، فصار في المكان برق، وامتلأ البيت شذى عطراً.

+ قالوا أيضاً عن الأب سيسوي إنه مرض وكان يتكلم أثناء مرضه مع بعض الشيوخ الجالسين بقربه. قالوا له: ماذا ترى يا ابانا؟ أجابهم: إني أرى البعض يأتون إلي، لكني استعطفهم كي يتركوني أتوب قليلاً. فقال له أحد الشيوخ: وإذا تركوك، هل تنتفع من الوقت الزهيد هذا من أجل التوبة؟ قال لهم: إذا لم أكن قادراً على ذلك، على الأقل اتنهد في نفسي وهذا يكفيني.

+ مرة قال الأب سيسوي جهاراً: تشجّع يا أخي، إذ لي ثلاثون سنة لا أتضرع إلى الله من أجل خطيئة، لكني أصلّي هكذا: يا ربي يسوع المسيح، استرني من لساني لأني بسببه أسقط كل يوم وأخطأ.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

وخرجوا إلى الحياة أصحاء. لكنهم بعد أن تناسلوا بالطريقة الطبيعية، أخذوا بالإعتلال وخسران الصحة تدريجياً حين تجرثم الكون وعرف المرض سبيله إلى الإنسان. الله جبل الجسد لا للمرض، وخلق النفس لا للخطيئة. النفس تعذبت لأنها خرجت عن دائرتها الطبيعية. ماذا كان مثالها السابق الصالح؟ البقاء مع الله ووحدتها به بالمحبة. وقد سقطت من هذه المكانة واعترتها أمراض مختلفة. لماذا تكون النفس على الغالب قابلة للشر؟ ذلك بسبب اندفاع الإرادة الجامحة اندفاعاً لا يليق بالطبيعة العقلية. لأنها بعد أن تحررت من كل الإلتزامات، وأخذت الحياة الحرة من الخالق، وهي المخلوقة على صورة خالقها، صارت تعرف الخير، وتفهم جيداً كيف تتمتع به، وتمتلك السلطة والقدرة للمحافظة على حياتها حسب الطبيعة طالما استمرت في رؤية الخير، والتمتع باللذة العقلية. انها تملك كذلك سلطان رفض الخير. وهذا ما حدث عندما امتزجت بالجسد بسبب الشهوات الرديئة، وانفصلت عن العلويات.

القديس باسيليوس الكبير